العدد 1628 - السنة السادسة
الجمعة 24 رمضان 1434 - الموافق 2 اغسطس 2013
Friday 2 August 2013 - No.1628 - 6th Year

أدعية رمضانية

اَللّهُمَّ إنِّي أسألُكَ فيهِ مايُرضيكَ، وأعُوذُ بِكَ مِمّا يُؤذيكَ، وأسألُكَ التَّوفيقَ فيهِ لِأَنْ أُطيعَكَ وَلا أعْصِيَكَ، يا جواد السّائلينَ.

موسم الخيرات

- دعاء الصائم مستجاب أثناء صيامه وعند فطره وأنفع الاستغفار ما كان مع التوبة
- كان الصحابة يغتسل الواحد منهم ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر

لقد كان النبي يخصُّ العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يقوم بها في بقية الشهر، ومن هذه الأعمال:

1 - احياء الليل: ففي حديث عائشة قالت: «كان النبي يخلط العشرين بصلاة ونوم، فاذا كان العشر شمّر وشدّ المئزر». ويحتمل أن يراد باحياء الليل احياء غالبه، ويؤيده ما في صحيح مسلم عن عائشة، قالت: «ما اعلمه قام ليلة حتى الصباح».

2 - ومنها: أن النبي كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيرها من الليالي، قال سفيان الثوري: أحب اليّ اذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، ويُنبِّهض أهله وولده الى الصلاة أن أطاقوا ذلك. وقد صح عن النبي أنه كان يطرق فاطمة وعليًا ليلاً فيقول لهما: «ألا تقومان فتصليان». وكان يوقظ عائشة بالليل اذا قضى تهجده وأراد أن يُوتر.

وورد الترغيب في ايقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة، ونضح الماء في وجهه؛ ففي الموطأ أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى اذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا» [طه: 132].

وكانت امراة أبي محمد حبيب الفارسي تقول له بالليل: «قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل، وقوافل الصالحين قد سارتْ قدّامنا، ونحن قد بقينا».

يا نائمًا بالليل كم ترقد
قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخُذ من الليل وأوقاته
وردًا اذا ما هجع الرّقد
من نام حتىّ ينقضي ليله
لم يبلغ المنزل قبل او يجهد

3 - ومنها: أن النبي كان يشدُّ المئزر، واختلفوا في تفسيره؛ فمنهم من قال: هو كناية عن شدة جدّه واجتهاده في العبادة. وهذا فيه نظر، والصحيح أن المراد اعتزاله للنساء، وبذلك فسّره السلف والأئمة المتقدمون ومنهم سفيان الثوري، وورد تفسيره بانه لم يأو الى فراشه حتى ينسلخ رمضان، وفي حديث أنس: «وطوى فراشه، واعتزل النساء».

وقد قال طائفة من السلف في تفسير قوله تعالى: «فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» [البقرة: 187]: انه طلب ليلة القدر. والمعنى في ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام الى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر؛ لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح، فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل، خصوصًا في الليالي المرجوّ فيها ليلة القدر، فمن ها هنا كان النبي يصيب من أهله في العشرين من رمضان، ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.

4 - ومنها تأخيره للفطور الى السحر: رُوي عنه من حديث عائشة وأنس أنه كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورًا، ولفظ حديث عائشة: «كان رسول الله اذا كان رمضان قام ونام، فاذا دخل العشر شدّ المئزر، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين، وجعل العشاء سحورًا» [3].

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي، قال: «لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر». قالوا: فانك تواصل يا رسول الله؟ قال: «اني لست كهيئتكم، اني أبيت لي مُطعم يُطعمني وساقٍ يسقيني» [4].

وظاهر هذا يدل على أنه كان يواصل الليل كله، وقد يكون انما فعل ذلك لأنه رآه أنشط له على الاجتهاد في ليالي العشر، ولم يكن ذلك مضعفًا له عن العمل؛ فان الله كان يطعمه ويسقيه.

5 - ومنها: اغتساله بين العشاءين، وقد تقدم من حديث عائشة: «واغتسل بين الأذانين»، والمراد: أذان المغرب والعشاء.

قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر.

وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر. وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين، ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا. يعني البصريين.

فتبين بهذا أنه يستحبّ في الليالي التي تُرجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين، والتطيب بالغسل والطيب والثياب الحسن، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد، وكذلك يُشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات، ولا يكمل التزين الظاهر الا بتزين الباطن بالتوبة والانابة الى الله تعالى، وتطهيره من ادناس الذنوب؛ فان زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئًا.

ولا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات الا من زيّن ظاهره وباطنه وطهّرهما، خصوصًا ملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، وهو لا ينظر الى صوركم، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس، وباطنه بلباس التقوى.

اذا المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقى
تقلب عُريانًا وان كان كاسيًا

6 - ومنها: الاعتكاف: ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، «كان رسول الله يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين». وانما كان يعتكف النبي في هذه العشر التي يُطلب فيها ليلة القدر؛ قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه. فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله وما يُرضيه عنه، وكما قويت المعرفة والمحبة له والأنس به، أورثت صاحبها الانقطاع الى الله تعالى بالكُلّيّة على كل حال.

ليلة القدر

قال تعالى: «انَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [القدر: 1-3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال في شهر رمضان: «فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم» [5]. وقال مالك: بلغني أن رسول الله أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العُمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر.

وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي أنه قال: «من قام ليلة القدر ايمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». وقيامها انما هو احياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا. قال سفيان الثوري: «الدعاء في تلك الليلة أحب اليّ من الصلاة». ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وان قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبي يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة الا سأل، ولا بآية فيها عذاب الا تعوّذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكير، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. وقالت عائشة -رضي الله عنها- للنبي: أرأيت ان وافقت ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني». والعفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يُحبّ العفو؛ فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فاذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب اليه من عقوبته، وكان النبي يقول: «أعوذ برضاك من سخطك، وعفوك من عقوبتك».

وانما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحا ولا حالا ولا مقالاً، فيرجعون الى سؤال العفو كحال المذنب المقصر.

أسباب المغفرة في رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي قال: «من صام رمضان ايمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر ايمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». فالصيام وسائر الأعمال على هذا المنوال؛ من وفاها فهو من خيار عباد الله الموفين، ومن طفف فيها فويل للمطففين، أما يستحي من يستوفي مكيال شهواته، ويطفف في مكيال صيامه وصلاته.

غدًا توفى النفوس ما كسبت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وان أساءوا فبئس ما صنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون في اتمام العمل واكماله واتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين «يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» [المؤمنون:60].

رُوي عن علي رضي الله عنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة: 27].

وعن الحسن قال: «ان الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا». فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون.

ومن أسباب المغفرة فيه أيضا: افطار الصائمين، والتخفيف عن المملوك، ومنها الذكر، ومنها الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره، وأنفع الاستغفار ما قارنته التوبة، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع الى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود. وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء، وقد قال النبي: «حولهما نُدَندن».

وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر، فاذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه، فيترتب له على ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه بتمام السببين، وهما صيام رمضان وقيامه.

فاذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم من العمل، وبقي ما لهم من الأجر وهو المغفرة؛ فاذا خرجوا يوم عيد الفطر الى الصلاة قسمت عليهم أجورهم، فرجعوا الى منازلهم وقد استوفوا الأجر واستكملوه، ومن نقص من العمل الذي عليه نُقص من الأجر بحسب نقصه، فلا يَلومَنّ الا نفسه.

قال سلمان: «الصلاة مكيال، فمن وفى وُفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قيل في المطففين». فالصيام وسائر الأعمال على هذا المنوال؛ من وفاها فهو من خيار عباد الله الموفين، ومن طفف فيها فويل للمطففين، أما يستحي من يستوفي مكيال شهواته، ويطفف في مكيال صيامه وصلاته.

غدًا توفى النفوس ما كسبت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
ان أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وان أساءوا فبئس ما صنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون في اتمام العمل واكماله واتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين «يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» [المؤمنون:60].

رُوي عن علي رضي الله عنه قال: كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة: 27].

وعن الحسن قال: «ان الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا». فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون.

ومن أسباب المغفرة فيه أيضا: افطار الصائمين، والتخفيف عن المملوك، ومنها الذكر، ومنها الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره، وأنفع الاستغفار ما قارنته التوبة، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع الى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود. وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء، وقد قال النبي: «حولهما نُدَندن».

شهر العتق من النيران

وأما آخر الشهر فيُعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار، واستوجب النار بالذنوب الكبار، فاذا كان يوم الفطر من رمضان أعتق الله فيه أهل الكبائر من الصائمين من النار، فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار.

ولما كانت المغفرة والعتق من النار كل منهما مرتبًا على صيام رمضان وقيامه، أمر الله عند اكمال العدة بتكبيره وشكره، فقال: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: 185]، فشكرُ من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام، واعانتهم عليه، ومغفرته لهم به، وعتقهم من النار، أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته.

يا من أعتقه مولاه من النار! اياك أن تعود بعد أن صرت حرًا الى رقّ الأوزار، أيبعدك مولاك عن النار وأنت تتقرب منها؟ وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟!

فينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النار، وهي متيسرة في هذا الشهر؛ ففي صحيح ابن خزيمة: «فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان تُرضون بهما ربكم، وخصلتان لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله والاستغفار، وأما اللتان لا غناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار».

فهذه الخصال الأربع المذكورة في هذا الحديث كل منها سبب للعتق والمغفرة، فأما كلمة التوحيد فانها تهدم الذنوب وتمحوها محوًا، ولا تبقي ذنبًا، ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار.

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة، فان الاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره، وأنفع الاستغفار ما قارنته التوبة، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع الى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود. وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء، وقد قال النبي: «حولهما نُدَندن».

(صيد الفوائد)

الثمار فانه يُقطع ثم يوقد في النار، من فرّط في الزرع في وقت البذار لم يحصد يوم الحصاد غير النّدم والخسار.

شهر العتق من النيران

وأما آخر الشهر فيُعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار، واستوجب النار بالذنوب الكبار، فاذا كان يوم الفطر من رمضان أعتق الله فيه أهل الكبائر من الصائمين من النار، فيلتحق فيه المذنبون بالأبرار.

ولما كانت المغفرة والعتق من النار كل منهما مرتبًا على صيام رمضان وقيامه، أمر الله عند اكمال العدة بتكبيره وشكره، فقال: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [البقرة: 185]، فشكرُ من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام، واعانتهم عليه، ومغفرته لهم به، وعتقهم من النار، أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته.

يا من أعتقه مولاه من النار! اياك أن تعود بعد أن صرت حرًا الى رقّ الأوزار، أيبعدك مولاك عن النار وأنت تتقرب منها؟ وينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟!

فينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النار، وهي متيسرة في هذا الشهر؛ ففي صحيح ابن خزيمة: «فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان تُرضون بهما ربكم، وخصلتان لا غناء بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله والاستغفار، وأما اللتان لا غناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار».

فهذه الخصال الأربع المذكورة في هذا الحديث كل منها سبب للعتق والمغفرة، فأما كلمة التوحيد فانها تهدم الذنوب وتمحوها محوًا، ولا تبقي ذنبًا، ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار.

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة، فان الاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره، وأنفع الاستغفار ما قارنته التوبة، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع الى المعاصي بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود. وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء، وقد قال النبي: «حولهما نُدَندن».

(صيد الفوائد)